جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان -

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

شعبة: الجذع المشترك علوم اجتماعية

**دروس الدعم الالكتروني**

**لطلبة السنة الأولى جذع مشترك – علوم اجتماعية –**

**الخاصة بشهر ابريل 2020**

المقياس: تاريخ الجزائر الثقافي

أستاذ المادة:

. د. مدان محمد

**المحاضرة الثانية**

**التشكيلات المجتمعية بالمغرب الأوسط الإسلامي خلال القرون الوسطى׃**

سبق ان بينا بانه بعد انهيار الاحتلال الروماني الذي قضى على الدولة النوميدية الناشئة ذهبت الجهود المبذولة من ماسينيسا مهب الرياح نظرا للتهميش والقمع الذي سلط على مختلف الشرائح الاجتماعية مما جعل اغلب السكان يرتدون الى البداوة ويتحصنون برحم القبلية كخط أخير للدفاع عن مقوماتهم الاجتماعية. انطلاقا هن هذه البنية الاجتماعية المهلهلة والمفككة ֽ حاول تنظيم أنفسهم من جديد من خلال انشاء بعض التنظيمات السياسية والفوق قبلية.

رغم عدم التجانس والهشاشة التي طبعت هذه الكيانات السياسية الا انها كانت الإطار الذي احتوى واحتضن مقاومة البربر ضد الفاتحين العرب خاصة في منطقة الاوراس التي انكسرت على حاجزها اغلب الحملات الإسلامية.

الا ان إدراك البربر لحقيقة الدين الإسلامي غير الاستعمارية وتشابه النظام الاجتماعي بينهم وبين العرب جعلهم يحتضنون هذا الدين الإسلامي الجديد ֽ لكن مع المحافظة على استقلالهم. ويتجلى ذلك من خلال تأسيس البربر لتشكيلات اجتماعية وكيانات سياسية مستقلة عن المركز الإسلامي. كانت أحيانا وتجاوزت الحدود الإقليمية للمنطقة في أحيان عديدة ֽ مثلما هو الحال مع الفاطميين والمرابطين ثم الموحدين.

السؤال الذي يطرح نفسه ׃ ما هو النظام الاجتماعي السائد؟

عرف المغرب الأوسط تطورا تاريخيا عدلت التوازن الهيكلي نتيجة للمعطيات الجديدة. ان الاسلمة والتحضر الذي تبعهاֽ اثرا على الهياكل السوسيو– سياسة للمغرب. حيث أسست القبائل كيانات سياسية قوية تقترب من الدول في أحيان كثيرة.

هذه الوضعية الجديدة الناتجة عن اسلمة المغرب واندماجه في الحضارة الإسلامية ֽ لا تعني تخلص النظام الاجتماعي من هشاشته السياسية واطره القبلية التجزيئية المفككة لعدة عوامل:

-ان اغلب الشعوب التي انضوت تحت لواء الإسلام – ومنها شعوب المغرب – ذات أصول بدوية ونمط انتاجي رعوي مبني على الترحال وعدم الاستقرار ֽ ولم تستطع التكيف بسرعة مع الرسالة الإسلامية التي أعطت لرابطة الايمان الديني وتأسيس الامة أهمية أكبروأسمى من رابطة التعصب القبلي. وبالتالي لم تتغلغل المبادئ الإسلامية الكونية في الضمير الجمعي لمعتنقيها.الشيئ الذي حول الصراعات القبلية أصلا الى انشقاقات دينية.

- ان الالتحاماتوالاندماجات الكبرى بين العرب والبربر كانت في الأساس امتزاجات في إطار نمط الانتاج الرعوي البدوي وليس الحضري. حيث اغلب القبائل العربية التي نزحت الى المغرب كانت قبائل بدوية متوغلة في تعصبها القبلي ֽ وبعيدة كل البعد عن التهكيل في دول مركزية.

لعل النزوح الكبير للعرب والذي اثر في التركيبة البشرية للمغرب يتمثل في الزحف الهلالي. هذه القبائل العربية البدوية التي كانت تقطن صعيد مصر وارسلتهم الدولة الفاطمية للانتقام من الدولة الزيريةالتي تمردت على سلطانهم في سنة 1051. قضوا على الدولتين الزيريةوالحماديةثم استقروا في منطقة الهضاب العليا و أطراف الصحراء ֽوبدؤوا يتأقلمون و يندمجون مع القبائل البربرية المشابهة لهم في النظام الاجتماعي.

-حالة التهميش التي كان يعيشها المغرب و عدم المساواة التي كانت تفرضها الارستقراطية القرشية في عهد الدولة الاموية ثم العباسية . باعتبارهم السكان البربر مسلمون من الدرجة الثانية .وتثبيت المصادر التاريخية بان الامويون كانوا يفرضون الجزية على سكان المغرب العربي.

هذا الامر حول المغرب الى ملاذ امن لكل التيارات الاسلامية المعارضة للسلطة المركزية,اين احتضنت القبائل البربرية مختلف الطوائف الدينية . مما جعل المنطقة تدخل في الفوضى و الصراعات بين مختلف هذه الطوائف . مما لم يترك أي فرصة للتطور الاجتماعي و الاستقرار الذي هو أساس قيام الدول .

-كل الدول او الأنظمة السياسية التي قامت في المغرب الأوسط , كانت حربتها الأساسية قبائل بدوية رعوية أتت من الجنوب نظرا لما لهذه القبائل البدوية من قوة عسكرية , بفعل قدرة تنقل الجماعات الإنسانية . لكن هذه القوة لا تعوض الهشاشة السياسية لهذه التشكيلات السياسية , التي تخضع لقاعدة متحركة مكانيا , و غير مستمرة زمانيا و تخضع للجدلية الخلدونية في تشكيل الدول .

كل هذه العوامل جعلت سكان المغرب يحافظون في اغلب الفترات على نمط انتاجهم القديم المطبوع بالنمط الثانوي للعيش (استقرار –ترحال ) :

الأول في الجبال و الثاني في السهوب و الصحراء. لكن هذا الاستقرار لا يعني مطلقا التحضر , بل انه ريفي على العموم . اذا اخذنا بعين الاعتبار الطبيعة الريفية للبلاد مع العلم ان السكان الحضر كانوا موجودين دائما في بعض الحواضر المعروفة , و لكنهم يشكلون استثناء عن القاعدة . الشيء الذي أعاق انقسام المجتمع الى شرائح و طبقات اجتماعية متناقضة . لاكتفاء السكان بمعاشهم اليومي نظرا لقلة الماء و هشاشة الأرض . مما حال دون وجود فائض في الانتاج . ان الطبقات في كل المجتمعات الإنسانية , تجد جذورها في الإنتاج و إعادة انتاج الخيرات المادية , و كل من يرفض هذه الاطروحة المادية التاريخية , حسب هواري عدي .

رغم الاطروحات و النقاش الدائم حول تعريف نمط الإنتاج الجزائري نقل الاستعمار الفرنسي , و الذي تميز خلال سنوات الستينات حول نمط الإنتاج الاقطاعي , لان هذه الاطروحات ارتكزت على العنصر الديني و السياسي , على الأقل لتمييز الطبقات الاجتماعية المشابهة لطبقة الاسياد في اوروبا .

لكن هذه الاطروحة انحرفت منهجيا , لان التحدث عن تشكيلة اجتماعية اقطاعية يفرض وجود الريع العقاري , الذي يميز نمط الإنتاج الاقطاعي بينما تنعدم الملكية الخاصة في المغرب . و حتى المستثمرات الزراعية التي كانت تسيرها الزوايا الدينية , كانت خاضعة لأراضي الوقف او الحبوس : " ان الريع العقاري كما عرفه الاقتصاديون الكلاسيكيون خاصة ريكاردو , غير موجود في المغرب رغم وجود بعض الملكيات الخاصة حول المدن و الجبال لدى السكان المستقرين , الا انها لا تمثل نمط انتاج قائم بذاته لمحدوديتها"

نستنتج بانه نظرا لعوامل اجتماعية و تاريخية ( جعلت من عملية التحضر تقتصر على بعض المدن فقط . ملكية خاصة محدودة , عدم انقسام المجتمع الى طبقات متناقضة نتيجة لانعدام الإنتاج و عملية التبادل ) , بقيت منطقة المغرب يسيطر عليها نمط الإنتاج الرعوي و عدم الاستقرار الذي يتناقض مع الحياة السياسية المركزية . حتى التشكيلات السياسية التي انتجها هذا النظام الاجتماعي , بقيت هشة و تفتقر الى الثبات المكاني في الديمومة الزمنية . طبيعة هذه الكيانات السياسية سوف نتطرف اليها لاحقا .